الهيئة التأسيسية لجامعة الشعوب

نعم: يصلح الإسلام أساساً لتجمع سياسي

ابراهيم صالح

د. سيد مرزال

يبدو أن قدر مصر التاريخي أصبح يرتبط في الحقبة الأخيرة بشهر نوفمبر ! ! .. ففي نوفمبر ١٩٧٣ .. أعلنت دوائر ومعاهد العالم العسكرية والاستراتيجية والسياسية ، اعترافها بانتصار مصر العظيم في حرب أكتوبر ١٩٧٣ الرائعة التي قلبت موازين الاستراتيجية في العالم .. ومازالت تعلن ذلك حتى اليوم .. وفي نوفمبر ١٩٧٧ .. فجر الرئيس محمد أنور السادات « قنبلة السلام » بمبادرته التاريخية بزيارة القدس ، تلك الزيارة التي لوت أعناق العالم وشدت أنظاره إلى مصر والشرق الأوسط والعالم العربي .. ومازالت حتى اليوم . وفي نوفمبر ١٩٨٠ .. أعلن الرئيس السادات بدء تأسيس جامعة الشعوب الإسلامية والعربية لتعيد إلى العرب والإسلام أمجاد عصوره الأولى : بين الدول - قوة وعظمة . وبين الشعوب .. مودة ورحمة .

ولكي نصل إلى أعماق هذه الدعوة ، ونتصل من إن أهدافها . يجب أن نستعرض أعمالها المدنية كما يراها الرئيس السادات . ونرى ماذا كان الإسلام يصنع أساساً على هذا النجمع .. أو لا ؟ .. وهل هذه الدعوة جديدة في التاريخ الإسلامي تحملها قريبة إلى وجداننا ؟ .. وهل يملك العالم الإسلامي والعربي الإمكانيات البشرية والاقتصادية والطبيعية التي تكفل له تحقيق مثل هذه الأهداف ؟ !

□□□

في ثقافة إسلامية الطراز ، تطل على نيل أفريقيا - وفي أنهار العالم قوة وعظمة ورخاء - وقف الرئيس محمد أنور السادات ، يعلن بدء اجتماعات هيئة التأسيس لجامعة الشعوب الإسلامية والعربية مرقما الرئيس السادات بعضوة الأهداف الأساسية لتلك الجامعة ، التي وإذا تكفلت بتحقيق الآمال العظيمة التي يعقدها عليها .

يأتي في مقدمة هذه الأهداف ، إبراز كيان الأمة الإسلامية العربية كقوة حالية لها وزنها وقدرتها على التأثير في السياسة العالمية .

ثم إبراز القوة الاقتصادية لهذه المجموعة الدولية من خلال إنشاء مصرف إسلامي عربي دولي تتوافر له الإمكانيات المادية التي تجعله أداة فعالة لتنمية شعوب هذه المجموعة وتوظيف استثمارات أعضائها .

وصولاً إلى تدعيم الدول ، لابد من إقامة جسور للتفاهم المشترك بين المنظمات الشعبية الإسلامية والعربية ، عن طريق إنشاء مؤسسات وشركات للتأليف والنشر ، ووكالة أخبار وإذاعات تتولى تدعيم أغراض تلك الجامعة في مختلف المجالات . وإنشاء اتحاد عالمي للشباب المسلم العربي يضمن استمرار الدعوة وتدفقها .

وأيضا إنشاء اتحاد عمال إسلامي عربي يضمن التوجيه السليم للحركة الإسلامية العربية حتى تصبح عنصرا فعالا مؤثرا في تنمية مجتمعاتها نحو حياة أفضل

□□□

ننتقل الآن إلى تساؤل آخر : هل يصلح الإسلام أساسا وقاعدة لمثل هذا التجمع .. السياسي بصورة أساسية ؟

بساطة وإيجاز شديدين ، نقول أننا ومن بكل الأديان السماوية نؤمن بما أتى به عيسى وموسى ، ومن سبقهما من الأنبياء والمرسلين

ولو استعرضنا التاريخ نرى الرسالات والديانات السماوية ، لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى أراد في البدء أن يثبت في وجدان البشر وجوده كخالق للكون وما فيه . فكانت المعجزات الحسية الملموسة الدالة على وجود خالق عظيم لهذا الكون يفعل ما يشاء في حياة البشر .

ثم بدأ تصحيح وتعالى - يثبت في قلوب الناس الإيمان به وبعبادته وحده دون شريك فجاءت الأديان تنظم عبادة البشر لله ، أي العلاقة بين الخالق والخلق - مع بعض أحكام الحلال والحرام في العلاقات بين البشر

وعندما استقر في وجدان البشر وجود الخالق فوق كل شيء ، وكل المفاهيم وحوب عبادته وحده دون شريك ، وتصحيحا لبعض التجاوزات التي حدثت ، أراد الله أن يتم دوره ويستكمل نظام الكون كما أراده سبحانه وتعالى ، فأنزل الإسلام على محمد ﷺ .

جاء الإسلام ينظم بصورة نهائية أحكام عبادة الخلق للخالق ، وأحكام العلاقات الشخصية والاقتصادية بين الأفراد ، وتنظم الحكم السياسي والاقتصادي داخل كل مجتمع إسلامي ، والعلاقات بين المجتمعات بعضها ببعض ومن هنا جاءت تسمية أحكامه بـ .. « الشريعة الإسلامية » . لأنها شريعة كاملة متكاملة للدنيا والآخرة !

وعندما كانت الأديان تنظم العبادات فقط بصورة أساسية ، أحست المجتمعات بالحاجة إلى تنظم داخلي وخارجي ، فنشأت نظريات وضعية بشرية منها السياسية مثل الملكية والجمهورية والديمقراطية والدكتاتورية ، ومنها الاقتصادية مثل الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية المعتدلة والعالمية وأيها من صنع البشر . فقد نشأ بينها صراع دارت رحاه في أنحاء شتى البلاد حسب القدرة على الإقناع المؤيد أو التحول القوي

أما المجتمع الإسلامي فقد نظر إلى الأحكام نظرة أخرى ومن هنا فإن الإيمان به وتطبيق نظرياته ، هو أقوى دفاع ضد صراعات النظريات البشرية المستوردة مثل الإخاء الشيوعي .

ومن هنا أيضا نكتشف أحد أسباب فشل جامعة الدول العربية فهي لم تقم على وحدة النظرية الإسلامية . بقدر ما قامت على صراع النظم والنظريات السياسية ، والمصالح والأطماع الشخصية لحكامها . تحديا أطماع استعمارية من الخارج . هذا طبعا إلى جانب قصور في ميثاقها . مثل اشتراط الإجماع في قراراتها . ولو كان أساسها النظرية الإسلامية لكان ذلك ممكنا . ولكن في ظل صراعات المصالح والأطماع الشخصية لم يكن ممكنا الإجماع إلا على حد أدنى يعتبر نوعا من التصالح الظاهري لأبعد إلى أعماق المشاكل والحلول

إذن . فالنظرية الإسلامية تصلح أساسا لتجمع سياسي أو اقتصادي قوي . فلا غلاء عليها خاصة إذا قامت على إخاء الشعوب . وليس على صراعات الحكام

ومع ذلك . فمن أراد مخلصا من الحكام . أن يسير معنا على درب الإسلام . فأهلا به وسهلا

□□□

وإذا كانت رسالة الإسلام عندها في

الأرض أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان. فقد كانت لها في بدايتها تلك القوة والعظمة التي نحلم بها اليوم.. سياسيا.. واقتصاديا.

وإذا كانت المجتمعات الإسلامية قد أصابها شيء من التفكك.. فإن تلك القرون لم تخل من آن لآخر.. من مفكرين يدعون إلى عودة الفكرة الإسلامية في صورة تجمع إسلامي يعيد إليها العزة والتفوق الإسلامي الذي قدم للعالم حضارة يشهد بها حتى الآن.

ولعله ليس من قبيل الصدفة - كما قال الرئيس السادات - أن يكون أكبر دعاة الوحدة الإسلامية الكبرى.. من مصر.. أو جاءوا إلى مصر لتنطلق دعوتهم منها عنوانا لانتشارها. منهم رفاعة الطهطاوي، والشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده.

وسبقهم وتبعهم في قرون الإسلام على مر الزمن أبو ذر الغفاري والفارابي ومحمد بن عبد الوهاب ومدحت باشا (من تركيا) وأحمد خان وأمير علي (من الهند) وخير الدين باشا (التونسي) وعلى مبارك باشا (المصري).

إذن فهذه الدعوة تعيش في وجدان العالم الإسلامي طول عصوره. كانت دائما حلما من الأحلام حتى إن عبد الرحمن الكواكبي كتب قصة خيالية سياسية تصور فيها تجمعا إسلاميا يضم جميع الشعوب الإسلامية في الأرض ليعيد إلى الإسلام عزته ومجده.

فهل يتحقق الخيال السياسي للكواكبي على يد الرئيس السادات.. كما تحقق الخيال العلمي لتوقعات هـ. ج. ويلز على أيدي علماء الفضاء؟

□□□

لكي نعرف إذا كان هذا الحلم قابلا للتحقيق أم لا.. يجب أن نعرف ما إذا كانت الشعوب الإسلامية والعربية تملك الإمكانيات التي تكفل لها تحقيقه؟

والإجابة.. نعم إنها تملك الكثير فعلا.

فالشعوب الإسلامية تقترب مع العام القادم حيث ينتظر أن تنتهي دراسات الجامعة الجديدة.. تقترب من ألف مليون مسلم.

وهؤلاء الألف مليون مسلم ينتشرون في قارات العالم الخمس في حزام يلتف حول الكرة الأرضية كلها.

وهم يمتلكون مالا يقل عن ٦٥٪ من الثروات الطبيعية والخامات والمواد الأولية في العالم.

مثلا.. هم ينتجون حوالي ٦٠٪ من إنتاج البترول العالمي.. مصدر الطاقة الرئيسي للحضارة العصرية.

وهم يملكون ٨٠٪ من احتياطي هذا البترول في العالم.

وهم يمثلون حوالي ٢٥٪ من الأصوات السياسية في الأمم المتحدة.

يشكلون أغلبية مؤكدة في إطار التعاون العربي - الأفريقي.

هم أغلبية مؤثرة في مجموعة دول عدم الانحياز.

الدول التي ينتمون إليها تسيطر على أكثر المراكز الاستراتيجية حساسية في العالم.. وتسيطر على شواطئ كاملة في البحرين.. المتوسط والأحمر.. والمحيطين.. الهادي والأطلنطي.. وعلى بحار وأنهار ومياه أخرى.. كثيرة.

إذن.. فالإمكانيات موجودة.. لو خلصت النوايا وأحسن استخدامها.. واجتمعنا على كلمة سواء حول نظام وضعه الله سبحانه وتعالى.

و..

قد تعودنا أن مبادرات السادات تحقق نجاحا ويتحقق منها خير كثير.

□

الشيخ محمد الجزولي

القصة الكاملة لاشتراك وفد السودان

أسامة أيوب

قبل أيام قليلة من انعقاد الاجتماع الأول للجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب.. وصلت برقية من الدكتور سيد نوفل الأمين العام إلى الدكتور أحمد السيد حمد أحد قادة الفكر في السودان.. يدعوه فيها بصفة شخصية لمشاركة السودان الشعبية في الجامعة وحضور الاجتماع الأول.

وعلى الفور أعلن الدكتور حمد موافقته على الحضور.. وأجرى اتصالات في نفس اليوم مع قادة الفكر والرأي وعلماء المسلمين وممثل فئات الشعب لتشكيل وفد شعبي سوداني.. ثم أجرى الدكتور حمد الذي كان أيضا مساعدا لجامعة الدول العربية.. اتصالا بالدكتور سيد نوفل أبلغه فيه بأسماء أعضاء الوفد الذي يمثل فئات الشعب السوداني وهم ١٦ عضوا.

وكان لمشاركة وفد السودان - الذي لبى نداء الإسلام - في الاجتماع الأول للجمعية التأسيسية أثر بالغ في نفوس كل الشعب المصري.. وهو ما عبر عنه الرئيس السادات في بداية خطابه أمام الجمعية التأسيسية حين رحب بالوفد وحيا الشعب السوداني والرئيس نميري.

وفي بداية اللقاء، أكتوبر، بأعضاء الوفد أعلن الدكتور أحمد السيد حمد رئيس الوفد أن سرعة استجابة الشعب السوداني بكافة قطاعاته خاصة أهل الفكر والمثقفين.. تبرز بجلاء صدق إحساس الشعب السوداني وصدق رؤيته المستقبلية المتمثلة في سرعة الاستجابة للإعلان.

وقال.. حين رفع الرئيس السادات شعار العمل الشعبي وهو أيضا صاحب مدرسة المؤسسات الدستورية.. تلقف الشعب السوداني هذا الشعار بحسه الديمقراطي والفكري القادر على الحركة السريعة.. والتحرك من منطلق الإيمان بقدرته على قيادة العمل الإسلامي والعربي على المستوى الشعبي.

وأكد رئيس الوفد السوداني أن جامعة الشعوب الإسلامية والعربية فكرة طيبة تستحق كل تقدير خاصة أنها جاءت مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري.. والعالم الآن يجتاز صراعا بين الحضارات المختلفة.. والإسلام حضارة يمكن أن تحتل مكانة مرموقة.. لأن الإسلام وضع حلولا لكل مشكلات الإنسان على المستويين المحلي والدولي.

وأشاد الدكتور حمد بخطاب الرئيس السادات في افتتاح الجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب وقال.. لقد سرني كثيرا أن الرئيس السادات أكد أن هذه الساحة الجديدة ليست ساحة للخلافات ولن يكون هناك صراع بين الأنظمة العربية في هذه الساحة.. لأنها ساحة تجمع وليست ساحة تشتت.

ويضيف.. لقد اشتركنا في هذا المؤتمر التأسيسي بصفتنا الشخصية لأن السودان.. تاريخه وحاضره.. قدره وإرادته.. هي الدعوة للتضامن العربي والإسلامي.. ومن هذه الإرادة كانت دعوة الرئيس نميري لتحمل مسئوليات العمل للتضامن العربي.

وأوضح أن المطلوب من هذه الجامعة أن تكون كيانا حيا متطورا لا تقف أمامه العقبات وأن تمثل إرادة الشعوب الإسلامية والعربية في طموحاتها ومفاهيمها تمثيلا صحيحا.

ويقول نصر الدين السيد عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي السوداني.. إن الرئيس المؤمن أنور السادات اشتهر بالمبادرات والمفاجآت وكلها كانت مفيدة.. وكانت الدعوة لجامعة الشعوب الإسلامية والعربية مبادرة جديدة.. ولعل

القصة الكاملة لاشتراك وفد السودان

أحمد مختار جودة

د. صالح حسن سوار الذهب

الشيخ ابو القاسم هاشم

الرئيس استشهادا لقول الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » انطلق بمبادرته للقيام بهذه الجامعة

ويستكمل حديثه : لقد شعرنا نحن وفد السودان بسعادة غامرة بالتحية الخاصة التي وجهها لنا الرئيس السادات وتحيته لرئيسنا الجليل. وأمله من الشريات أن يأتي الشعب السوداني ليكون في مقدمة الشعوب التي ستبذل بالجهود لقيام هذه الجامعة.

ويضيف : أرجو أن أؤكد لإخواننا في مختلف البلاد الإسلامية والعربية وعلى وجه الخصوص شعب مصر الشقيق ، أن شعب السودان واعيا ينطلق من نقطة أساسية هي خصوصية العلاقة بين مصر والسودان.

بشرى مع بداية القرن الجديد

أما الدكتور صالح حسن سوار الذهب المحاضر بجامعة الخرطوم فيقول : إن الأمة الإسلامية والعربية عانت كثيرا من الشتات والتفرق والأمل معقود مع بداية القرن الخامس عشر الهجري في توحيد كلمة المسلمين والعرب. ولقد جاءت إرادة هذا الأمل مع بداية القرن الحديث متمثلة في قيام جامعة الشعوب التي تنادي أهدافها من تسميتها ، وهي جمع الشعوب الإسلامية والعربية على قلب رجل واحد. وهذه هي أعظم مهمة تقوم بها الجامعة. وإذا نجحت وإذا لم تكون قد حققت الأمة الإسلامية شيئا كثيرا. وأوضح الدكتور صالح سوار الذهب أن خطاب الرئيس السادات أشار إلى الطريق الذي يؤدي إلى نجاح الجامعة. وأكد أن الشعب السوداني يؤيد قيام هذه الجامعة لأنه مع كل عمل يجمع كلمة المسلمين.

جيش إسلامي شعبي

ويقترح أحمد مختار جودة رجل أعمال رئاسة جيش إسلامي شعبي. تكوين نواة جيش إسلامي شعبي كبير يتم إعداده إعدادا قويا لتحقيق أهداف جامعة الشعوب.

ويقول محمد أحمد علي هذه الفكرة يا عباري جديدا ما لها . وقد قدمت هذه الفكرة للدكتور سيد مرعي الأمين العام لجامعة الشعوب لإنشاء جامعة عسكرية تكون الملجأ الأخير في حال الجامعة . تجمع الأسس اللازمة لقيام كيان يحمي الشعوب الدفاعية والعسكرية . وأعتقد أن هذا الأمر ضرورة ملحة تطبيقا لقول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ».

ويشرح أحمد مختار جودة اقتراحه فيقول : في المستقبل القريب مطلوب إعداد مركز لتدريب الشباب المسلم وإعداده إعدادا عسكريا رفيعا للمشاركة في الدفاع عن الشعوب الإسلامية . ولتكن البداية في أفغانستان . وأن يكون هذا الشباب على استعداد للعمل الفدائي الخليق . وليست الفدائية « بالمراهقة ».

أما في المستقبل البعيد فيتم إعداد جيش قوي إسلامي شعبي يتولى تنفيذ قرارات جامعة الشعوب . حتى لا تصبح مجرد توصيات وقرارات لا تجد كما كان الحال مع جامعة الدول العربية.

منبر لكلمة الحق

ويرى الشيخ عبد الخالق الدارك سكرتير عام الرابطة الإسلامية بالسودان أن جامعة الشعوب الإسلامية والعربية هي الصيغة الثانية لتوحيد الصف الإسلامي والعربي وصولا بالأمة الإسلامية والعربية إلى أهدافها المنشودة. وذلك عن رؤية واضحة لتحقيق أهداف الإسلام كمنبع يشير إلى الود والإخاء والترابط.

بالإضافة إلى أن هذه الجامعة تعد الإطار الذي يمكن أن تعلو منه كلمة الحق من غير مزايدات أو علاقات أو مجاملات . إذا خلصت النيات وطهرت القلوب.

ويضيف أن خطاب الرئيس السادات أشار بتوجيهه وتلميحه بحيث يمكن اعتباره منهجا لجامعة الشعوب.

ويقول أبو القاسم هاشم ممثل رئيس اتحاد الزراعيين السودانيين وعضو مجلس شعب سابق وزعيم عشيرة الشايقية بمنطقة الخرطوم بالسودان : إن الشعب السوداني بكل فئاته يبارك قيام هذه الجامعة التي دعت إليها مصر قلب العروبة والإسلام . ونحن في السودان نعتبر أنفسنا أعضاء مؤسسين لجامعة الشعوب الإسلامية والعربية مع أشقائنا في مصر لتحقيق أهداف هذه الجامعة ورأب صدعها جمع كلمة المسلمين.

تحكيم كتاب الله

ويرى الشيخ محمد الخضري قاضي قضاة السودان السابق أن قيام جامعة الشعوب الإسلامية والعربية كان تعبيرا عن حاجة الأمة الإسلامية والعربية الضرورية لقيام منظمة أو مؤسسة إسلامية في الوقت الحاضر. ويضيف أن أهم هدفين يمكن أن تحققهما هذه الجامعة هما أولا : توحيد كلمة المسلمين ، وثانيا : تحكيم كتاب الله وسنة رسول الله بديلا عن اللجوء إلى النظريات الوضعية التي ثبت فشلها في الوقت الذي يستطيع فيه الإسلام أن يقدم تصورا فاضلا متكاملا . وهو ما حدث فعلا في العهد الأول للإسلام.

وأكد أننا في جامعة الشعوب نجتمع على ما هو متفق عليه بيننا جميعا ولا خلاف عليه وهو الإسلام . ولن يكون مجالا للصراع.

ونقطة هامة يؤكد عليها قاضي قضاة السودان السابق ، وهي أنه لا تعارض بين جامعة الشعوب والنظمات الإسلامية الأخرى كرابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي وغيرها . بل إن من الضروري أن يكون هناك تعاون وتنسيق بين الجامعة وهذه المنظمات ■

أخبار.. ولقطات

● كان من المقرر أن يكون ضمن أعضاء وفد السودان النهي في اجتماعات الجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب . الشيخ علي عبد الرحمن نائب رئيس الوزراء السوداني السابق . إلا أنه لم يتمكن من الحضور بسبب مرضه . أبلغ الشيخ علي عبد الرحمن اعتذاره للرئيس السادات والدكتور سيد مرعي.

● تعتبر مشاركة السودان في اجتماعات الجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب الإسلامية والعربية يوم الاثنين الماضي . هي المرة الأولى التي يشارك فيها السودان في اجتماعات جامعة الشعوب . الشيخ محمد مدثر الخليفة نائب رئيس الطريقة الختمية السودانية وقد حمل أعضاء الوفد رسالة إلى الجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب تؤكد تأييده لقيام وعمل جامعة الشعوب الإسلامية والعربية.

● أكد أعضاء وفد السودان النهي في جامعة الشعوب الإسلامية والعربية . للأكوبر ، أنهم يقدرون في القاهرة حتى موعد الاجتماع الثاني للجمعية التأسيسية للجامعة مساء يوم الاثنين ٢٤ نوفمبر الجاري.

● يغادر الوفد النهي السوداني خلال إقامته بالقاهرة برجال الدين الإسلامي في مصر وكذلك مشايخ الطرق الصوفية وعلماء الأزهر الشريف.